عن الجرح والحب القديم

حين التقينا ،
.. كان وجه الارض يفرق في الاساطير القديمه
والجرح يلهث في دهاليز البهار
كنا .. وكان الشعر يولد في المحار
وينز دمعا في محطات القطار :
(يا أيها القمر المسافر في الميادين الرجيحه
أتعود يوما خلف أسوار الضباب
تمشي على كل البيوت
وتمر في عمر الشبابيك الحزينه
ترمي لطفلتي الحبيبة حلم كوخ ..
ربما أو غصن توت !)
حين التقينا
.. كان وجه الارض يفرق في أساطير المدينه
وأنا وأنت كألف جرح ..
كان يحلم بالعواصف
ورحلت في عينيك ..
أذكر كانتا مطرا ..
وغصن كان في عينيك واقف
وعلى قناطر شعرك المبلول سارت أغنيه
من جرحي الشتوي .. من قلبي المعنّى
ورأيت في فرح الجديله
يا حبي الموعود يا حزني المغنّى
أرجوحة تزهو على سطح الطفوله :
. . .
. . .
الشمس تكبر ..
مثلما كبرت صلاتك في عيوني
والشعر يحسر ما تركت على جبيني
والدرب يوغل في المدى ..
.. ما أوغلت كفاي في الجرح الحزين
والقمح يوقد في حنين الاهل ..
ما أوقدت يوما في حنيني
وانا أحن اليك .. يا حبي القديم
منذ انكسرت .. وضاع في جرح التخوم
يوم وشباك ودوري يحوم
وأتوا ليفتالوا أراجيح النجوم
ويهشموا عشرين جمجمة ...
لعل يكون سن من ذهب
وأنا بكيت .. بكيت .. من سيفي الخشب !
ما زلت أذكر كيف جاؤوني ..
.. وكان البدر مرتعشا ..
.. ووجه الارض يفرق في الضباب
.. وأطلقوا نارا عليّ ..
.. عليّ من خلفي
كان المساء الرطب مثل الدم يسقط ..
ذات صيف
لم يتركوا وقتا لدي ..
ولم يجيئوا من أمامي ..
.. لم يجيئوا من أمامي ..
.. لم يجيئوا من أمامي !

وانا كبوت على سياج الدار ..
.. كانت لورتان .. وكان برج للحمام !
ورأيت وجهك في عيون الريح نخله
يا حبي الباقي .. ويا زهو العقال
فانحل جرحي في انتظار الورد نخله !
. . .
. . .
لو أنني آتيك في الليل الثقيل
وامر في عينيك « حسونا » وفلّه
وعلى مساء رموشك الخضراء ..
أزرع قبّره
وحديقة تزهو على الوادي الجميل ،
في ذات يوم ..
عندما يرتاح خدك عند خدي
ويذوب باب بيننا في حلم سلّه
في القمح .. في الزيتون .. في باقات ورد
سانقط الكلمات من أحداق نجمه
ترعى على خديك والشعر المسافر ..
ذات ليله
ستهاجر الكلمات في صبح ومقله !
. . .
لكنني .. والباب يشعل بيننا ..
جرحا .. ويوقد في المحاجر
ما خلّفته يداك في صمت القناطر
سامر عن عينيك في كل الاماسي
أخطو على صيف التناسي
مهرا يشد جدائل الاطفال في عمر الجراح
لمسافة الجمر المحنّى عند شباك الصباح !
. . .
سيظل وجهك في دمي
يا واحتي الخضراء يا جرح العباءه
(سيظل وجهك في دمي)
أقسمت حين امتد في ليلي الجدار
واغتال نجمه
وذوت على عينيك غيمه
وخسرت وجهك حينما انطفأ النهار
ومشى على جرحي القطار ..
مشى فجاءه
ومضى بأشبالي وأهلي والصغار
سيظل وجهك في دمي
ما دام جرحي راعفا خلف الجفون
ينمو حدائق في مسافات الاغاني
ويمر وعدا في شبابيك الاماني
وأحدّث الاصحاب عن عينيك ..
عن كوخ وفلّه
عن صوتك الحلو الذي يصطاد نحله
فلربما سألوا عن الدرب الذي ..
يجتاز أقبية البهار
ويمر في جرح العصافير الصغيره
وعدا لشباك ..
وأغنية ..
ودار !

عمان

وليد ابراهيم سيف